السنة العشرون وثلاث مئة

فيها عزل المقتدرُ الحسين بن القاسم من الوزارة، واستَوزر أبا الفتح بن جعفر بن الفرات، وخَلَع عليه، وسلَّم إليه الحسين في جُمادى الأولى، فاعتقَلَه في داره، وقرَّر عليه أربعين ألف دينار، فلمَّا أدَّاها سأل الفضل[1] المقتدر أن يُقلِّدَه الإشراف على الشام ومصر، فأذن له، ثم توقَّف حالُه وطُلِب منه المال، فيقال: إنه استتر.

وفيها أرسل مرداويج بن زيار الدَّيْلَميّ يسأل أن يُقاطَع على الأعمال التي غَلَب عليها من المَشرق، فأُجيب إلى ذلك، وأُنفذت له الخِلَع والعهد واللواء، وكان العهد يشتمل على كُوَر أذْرَبِيْجان وأَرْمينية ونَهاوَنْد وقُم وسِجِسْتان، وغير ذلك من الأعشار والصَّدقات ووجوه الجِبايات.

وفيها نَهبت الجُند العوامُّ دورَ الوزير الفضل بن جعفر واِصْطَبْلاته، وهرب الوزير إلى طيَّاره، فوقف في وَسْط الشَّطِّ، وشَغَب الجند، وأحرقوا الطيارات والحَرَّاقات، وسَوَّد الهاشميون وجوهَهم وصاحوا: الجوعَ الجوعَ، وكان القِرمطيُّ قد منع الغَلَّة، وهو حول بغداد يتردَّد من الكوفة إلى الأنبار، ونَهَب السَّواد، ومنع مؤنس الغلَّة والمِيْرَه من ناحية المَوصل، ولم يحجَّ في هذه السَّنة أحد.

وفي شوال قُتِل المقتدرُ، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

الباب التاسع عشر في خلافة محمد القاهر بن المُعْتَضد

وكنيته أبو منصور، وأُمُّه أمُّ ولد يقال لها: قَبول، ماتَتْ قبل خلافته، ومَولدُه في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ومئتين، فكان عمره يوم وَلي ثلاثاً وثلاثين سنة[2].

ذكر بيعته:

قال ثابت: لمَّا قُتِل المقتدر انحدَر مؤنس من الرَّاشِديّة إلى الشَّمَّاسِيَّة آخرَ نهار الأربعاء لثلاث بقين من شوال، ورأى رأسَ المقتدر فبكى وقال: قتلتُموه، والله لَنُقتَلَنَّ

(١) هو ابن جعفر بن الفرات أبو الفتح.

(٢) في صلة الطبري ١٥٤ : وهو ابن خمس وثلاثين سنة، والمثبت موافق للمنتظم ١٣/٣٠٦ .

كلُّنا، فأقلُّ ما يكون أن تُظهِروا أنَّ ذلك جرى عن غير قَصْد منكم، وأن تَنصِبوا في الخلافة ابنَه أبا العباس، فإنَّه تَرْبيتي، وإذا جلس في الخلافة سَمَحَت نفسُ جدَّته وإخوته وغلمان أبيه بإخراج ما عندهم من المال، فقال إسحاق بن إسماعيل النُّوبَخْتي لحِينه: من بعد الكَبَد[1]؛ استرَحْنا ممَّن له والدة وخالة وحُرَم وخَدَم، فنعود إلى تلك الحال، ومازال بمؤنس حتى ثَنى رأيَه عن أبي العباس، وعدَلَ إلى القاهر.

وقال: إنَّ والدةَ المقتدر لمَّا بلغها قتلُه أرادت الهَربَ، وأنَّه وكَّل بها، وأنَّ محمد بن المعتضد ومحمد بن المكتفي مُعتقَلان في يده في دار الخلافة، فأمر بإحضار محمد بن المعتضد ومحمد بن المكتفي، فقال مؤنس لمحمد بن المكتفي: تولَّى هذا الأمر، فقال لا حاجةَ لي فيه، وعمِّي محمد أحقُّ به.

فخاطب محمد بنَ المعتضد فأجاب، فاستحلفَه مؤنس لنفسه ولبليق ولعلي بن بليق وكاتب بليق يحيى بن عبد الله الطبري، فلما توثَّقوا منه بالأيمان والعهود بايعوه، وبايعه مَن حضر من القضاة والقوَّاد، ولُقِّب القاهر بالله، وكان ذلك سحر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من شوال.

وقال الصولي: لمَّا قُتِل المقتدر بالشمَّاسية أَحضر مؤنس محمد بنَ المُعْتَضد وأبا أحمد بنَ المُكْتَفي، فباتا عنده في مكان واحد، فقال محمد بن المعتضد لأبي أحمد: أنا فقيرٌ لا مال لي، فتولَّى أنت الأمر، فقال أبو أحمد: أنت شيخي وعمِّي، وقد وُلِّيت هذا الأمر وسمِّيتَ له، فأنت أحقُّ به منِّي من جميع الجهات.

وعزم مؤنس على مبايعة أبي أحمد لأنَّهم رأَوه أتمَّ رأياً، وأكثرَ أدباً، وأوفرَ عقلاً، فبات النُّوبَخْتي يمشي إلى أرباب الدولة ويقول: ابنُ المعتضد أحقُّ، فقيل له: فلم تكَرَّهت من ابن المكتفي مع ما هو عليه؟ فقال: أخاف أن يَنْتَقِض الأمر علينا بخليفةٍ كنَّا قد سمَّيناه وبايعناه ـ يعني القاهر ـ فيطولَ تَعَبُنا، ولم يَدْر أنه سعى في حَتْفه، فبايعوه،

(١) في الكامل ٨/ ٢٤٤: بعد الكد والتعب استرحنا. ولعل العبارة: فقال إسحاق لحَينه من بعد الكيد: استرحنا، وانظر تكملة الطبري ٢٧٣ فالخبر فيه أوضح مما هنا.

فضَمِن لهم مالَ البيعة بعد عشرة أيام، ونقش على سِكَّة الدنانير والدراهم: محمد رسول الله، القاهر بالله، المنتقم من أعداء الله [لدين الله][1].

وكان رَبْعَةً ليس بالطويل ولا بالقصير، أسمر، معتدلَ الجسم، أَصْهبَ الشعر، أَقْنَى الأنف.

وأول ما شَرع فيه: أنَّه بحث عن المستورين من ولد المقتدر وأُمَّهات أولاده وحُرَمه وخواصِّه ووالدته فصادرهم، وعذَّبهم بأنواع العَذاب، وأحضر أمَّ المقتدر وهي مريضةٌ، فضربها بيده ضرباً مُبَرِّحاً، فلم تُظهر من مالها سوى خمسين ألف دينار، وأحضر القضاةَ والشُّهودَ فشهدوا عليها ببيع أملاكها بعد أن كَشَفَت وجهَها ونظروا إليها، فلمَّا رأَوا ما بها من الضُّرِّ بَكَوا، وما انتفعوا بعيشهم في ذلك اليوم، ومازال يُعذِّبها حتى ماتت معلَّقةً بحَبْل البَرَّادة[2].

وضرب أمَّ موسى القَهْرَمانة وعذَّبها، ووجد عندها أبا العباس بن المقتدر فقبض عليه، وما أبقى في الإساءة إلى عِيال المقتدر، ولم يَظفَر منهم بطائل، ونَفَرَت قلوبُ الناس عنه.

وكان المقتدر قد نفى أبا علي بن مُقْلَة إلى الأهواز، فكتب إليه القاهرُ رُقْعةً بخطِّه: يا أبا علي، أدام الله إمتاعي بك، مَحَلُّك عندي جليلٌ، ومَكانك من قلبي مَكين، وأنا حامدٌ لمذهبك، مُرتَضٍ لأفعالك، عارفٌ بنصيحتك، ولم أجد مع قصور الأحوال عن ما أُضمِره لك ما يَزيد في محلِّك وكمال سرورك غيرَ تَشريفِك بالكُنية، وأنا أسأل الله عَوناً على ما أحبُّه لك، والسلام[3].

وأحضره، واستوزَره، وخلَع عليه، وفوَّض الأمورَ إليه.

وقال ثابت: أشار مؤنس بعلي بن عيسى ووَصَفَه، فقال بليق وابنه: الحالُ لا يَحتملُ أخلاقَه، ويُحتاجُ إلى مَن هو أسمَحُ منه وأوسعُ أخلاقاً، فأشار بابن مُقْلَة، وأن يُستَخلَف له أبو القاسم الكَلْوَذاني إلى حين يَقدم.

---

(١) ما بين معكوفين من المنتظم ١٣/ ٣٠٦.

(٢) البرادة: إبريق من الطين مدور الشكل ذو عنق ضيق طويل يُبَرَّد فيه الماء. تكملة المعاجم ١/ ٢٨٠.

(٣) المنتظم ١٣/ ٣١٦.

وكتب إلى ابن مقلة بالقدوم وكان بشيراز.

وصُرِف محمد بن المكتفي إلى داره بحريم دار ابن طاهر، واستَحْجَب القاهر عليَّ ابنَ بليق، وقلَّد مؤنسٌ الشرطةَ ببغداد غلامَه يُمناً الأعور.

وكتب مؤنس إلى علي بن عيسى وكان بالصافية أن يَحضُر، فقدم بغداد، ودخل على القاهر فأكرمه ووعده جميلاً، ثم صرفه إلى منزله.

وكتب القاهرُ كتاباً إلى الآفاق بإشارة مؤنس: أنَّ المقتدر قتله بعضُ جنده ورجالٌ من عسكره.

وفي مُستهلِّ ذي القعدة دخل بليق وابنُه وأبو القاسم الكلوذاني على القاهر، فطالبوه بمال البيعة ورِزقِ الجند، فحدَّثهم بما فعل بوالدة المقتدر، وأنَّه ضربها مئةَ مِقْرَعة على المقاتل فما أقرَّت إلا بعَقار ثمنُه ثلاثون ألف دينار، ثم قال: وها هي بين أيديكم إن شئتم سلَّمتُها إليكم، ثم أدخلهم إلى الدار التي فيها الصناديق، وفيها ثيابُ وَشْيٍ وديباجٌ، وصياغاتٌ من ذهب يسيرة وفضةٌ، وطيبٌ وغيره ما قيمتُه مئةٌ وثلاثون ألف دينار وثلاثُ مئة ألف درهم، فتسلَّمَه أصحابُه، وتفرَّق على الجند.

قال ثابت: وتقدَّم القاهر بكَبْس الأماكن التي فيها أولادُ المقتدر مُستَترين، فكُبست، ووُجد أبو العباس وعلي وهارون والعباس وإبراهيم والفضل، فحُمِلوا إلى دار السلطان، وسُلِّموا إلى الحسن بن هارون كاتب بليق، فأحسن إليهم إحساناً كثيراً، وكتب لهم أماناتٍ، وكتب القاهرُ عليها خطَّه، وحُمِّلوا نحواً من ثلاث مئة ألف دينار مُصادرةً.

وكان شَفيع المُقْتَدري قد استَتَر يوم قُتل المقتدر، وكانت بينه وبين أبي القاسم الكلوذاني مَودَّةٌ، فكتب إليه رُقعةً يسأله عَرْضَ حاله على القاهر، ففعل، فوقَّع القاهرُ عليها: يَحضُر آمناً من مَكروه يَنالُه، ويُصادر آمناً من مَكروه يَلْحقُه، فظهر شفيع، فصادره الكَلْوَذاني على عشرين ألف دينار، فأمضاها القاهر، فقال الحسن بن هارون كاتب بليق: هذا مالٌ قليل، وليس عندنا ما نَدفع به مالَ البيعة إلا من شفيع وأمثاله.

واستأذن القاهرَ في الدُّخول على شفيع ومُخاطبته، فأذِن له، فدخل عليه، وخاطبه ولاطَفه فلم يُذْعِن بشيء، فأغلظ له وقال: يا شفيع، إن لم تعرف حقَّ مولاك، ولم تُعاونْه على أمره بما يُثَبِّتُ دولتَه وإلا صُفِعْتَ بالنِّعال، فبكى شَفيع، ولَطَم على رأسه، ولم يُفارقه الحسن حتى أخذ خَطَّه بخمسين ألف دينار مُعَجَّلةً، ودخل بالخطِّ إلى القاهر، فوَقَع منه أحسنَ مَوْقع.

ودخل شفيعٌ على مؤنس فشكا إليه، فخاطبه مؤنس بمَحْضَرٍ من الناس أغلظَ خِطاب، فقال: أنت غلامي، اشتريتُك بعد أن أعتقَني المعتضد، وضَمَمْتُك إلى المقتدر، وولَّيتُك البصرة، وجعلتُ لك الإقطاعات، وتَبِعك الرجال، وضُرِبَت على بابك الدَّبادِب في أوقات الصَّلوات، وبلَّغتُك أعلى المراتب، فكافئتَني بأن سعيتَ في دمي ودم خواصِّي الذين هم عندي أولادي، ثم لم يكن لي عندكَ من المقدار ما تُكاتبني وتَعتذرُ إليَّ، أوتنافقني وتطلب منِّي أماناً، وأن أُوصلَك إلى أمير المؤمنين؟! وبعد هذا، فلستُ أعارضُ أمير المؤمنين في أمرك وأمانِه لك، ولكنِّي ما بعتُك من المقتدر ولا وهبتُك له، وقد حلفتُ يميناً غليظةً على أنَّني متى تمكَّنتُ منك ناديتُ عليك، وبعتُك كما يُباع مثلُك.

ثم أمر مُنادياً فنادى عليه، فبلغ سبعين ألف دينار بحضرة مؤنس في داره، فاشتراه الكلوذاني للقاهر، وكتب العُهْدةَ بالبيع، وأشهد فيها القُضاة والعُدول، فقال مؤنس: يُعتَقلُ في دار بليق حتى يؤدِّي المال.

وأحسن إليه بليق وكان يأكل معه، وأشهد عليه القاهر بعتقه، وأدَّى بعض مال المُصادرة، وبقي عليه عشرون ألفاً فضمنها بليق والكلوذاني وبشرى.

وأُطلق شَفيع إلى داره، ثم صار إلى دار مؤنس واستعطفه، فعَطَف عليه، وأحسن إليه، وضمَّ إليه خمسين فارساً ورجَّالةً يخدمونه، وأطلق ضياعه وأسبابه.

وأمر القاهرُ القضاةَ والعُدول بأن يَشهدوا على والدة المقتدر بأنَّها قد حَلَّت أوقافَها، وأذِنَت في بيعها لعلي بن العباس النُّوبَختي، وقالت: هذه أماكنُ وقفتُها على مكة والثغور والفقراء والمساكين، فلا يَحِلُّ لي حَلُّها، فاستدعى القاهر القاضي عمر بن محمد والشهود، وأَشهَدَهم على نفسه أنَّه قد حلَّ وُقوفَها، وأذن في بيعها النوبختي.

وفيها عزم مؤنس على تقليد الوزارة لعلي بن عيسى لمَّا تأخَّر قدوم ابن مُقْلة من شِيراز، وأنَّه يُكاتب ابن مُقْلَة ليرجع إلى شيراز، وبلغ زوجةَ ابن مُقْلَة، فأرسلت إلى عيسى طبيب القاهر مئة ألف درهم ليُلاطفَ الحال، فخاطب القاهرَ ومؤنساً، فتوقَّف الأمرُ.

وقدم ابنُ مُقْلَة بغداد يومَ النَّحْر، وكتب إلى القاهر يسألُه أن يجتمع به في الليل بطالع الجَدْي، وفيه أحد السَّعْدَين، والآخر في وسط السماء، فجلس له في الوقت المُعَيَّن، واجتمعا وأكرمه، وأصبح فخلع عليه خِلْعَة الوزارة، ومضى إلى دار مؤنس فسلَّم عليه، وانصرف إلى داره بدرب جردة ـ وكانت لابن مقلة ـ وجلس للتهنئة، وراح إليه في آخر النهار علي بن عيسى فلم يَقُم له، فاستَقْبح الناس ذلك.

وفيها توفي

إبراهيم بن محمد

ابن علي بن بَطْحاء، أبو إسحاق، التَّميمي[1].

وَلي حِسْبَةَ بغداد من الجانبين، وكان صارماً، مرَّ على باب قاضي القضاة أبي عمر، فرأى الخصومَ جلوساً ببابه ينتظرونه للنظر بينهم وقد هَجَّرت الشمسُ عليهم، فوقف، وقال لحاجبه: تقول للقاضي: الخصومُ جلوسٌ بالباب قد بلغتهم الشمسُ وتأذَّوا بالانتظار، فإما خرجتَ إليهم فحكمتَ بينهم، أو عرَّفتَهم عُذْرَك لينصرفوا ويعودوا.

روى عن علي بن حَرْب الطَّائي وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة رحمه الله.

أحمد بن عُمَيْر[2] بن يوسف

أبو الحسن، ابن جَوْصا، الحافظ، الدِّمشقي، مولى بني هاشم.

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٠٧، وذكر الخطيب في تاريخه ٧/ ١٠٠، والذهبي في تاريخ الإسلام ٧/ ٦٥٩ أن وفاته في سنة (٣٣٢هـ).

(٢) في (خ ف): عدي، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٥١ (مخطوط)، والمنتظم ١٣/ ٣٠٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٦٣، والسير ١٥/ ١٥.

شيخ الشام في وقته، رحل إلى البلاد، ولقي الشيوخ، وصنَّف، وتوفي بدمشق، ودُفن بالباب الصغير.

سمع الرَّبيع بن سليمان وغيره، وروى عنه أبو أحمد بن عدي وغيره.

ووَثَّقه أبو أحمد الحاكم، وقال الدارقطني: تفرَّد بأحاديث وليس بالقوي.

أحمد بن القاسم بن نَصْر، أبو بكر[١]

ولد سنة اثنتين وعشرين ومئتين، وسمع الحسن بن حَمَّاد سَجَّادة وغيره، وروى عنه ابن شاذان وغيره، وكان ثقةً، وأنشد: [من البسيط]

لا تَتْرُكِ الحَزْمَ في أمرٍ هَمَمْتَ به ... فإن سَلِمْتَ فما في الحَزْمِ من باسِ

العَجْزُ ضُرٌّ وما بالحَزْمِ من ضَرَرٍ ... وأحْزَمُ الحَزْمِ[٢] سوء الظَّنِّ بالناسِ

جعفر المُقْتَدر بن أحمد المُعْتَضد

ابن أبي أحمد المُوَفّق بن المُتَوكّل[٣].

قد ذكرنا خبرَ مؤنس ونفوره منه، واستيلائه على الموصل وديار ربيعة، ولمَّا بلغ الفُرسانَ المقيمين بالحَضْرة ذلك، وما أخذ من أموال بني حَمْدان؛ تَسلَّلوا إليه، وحملوه على العَوْد إلى بغداد بعد أن أقام بالموصل تسعة أشهر.

ولمَّا بلغ الجُندَ المُقيمين بالحَضْرة انحدارُه شَغَبوا وطلبوا المال، فأطلق لهم المقتدر أموالاً عظيمةً، وأخرج مِضرَبَه إلى باب الشَّمَّاسيَّة، وبعث أبا العلاء سعيد إلى سامُرَّاء في ألف فارس، ثم أرْدَفه بمحمد بن ياقوت في مثلها وجماعة من الحُجَريَّة، فلما قَرُب مؤنس من عُكْبَرَا انعطَفُوا راجعين إلى باب الشمَّاسية، فعسكروا به.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٥٧٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٦٦ ، والسير ١٤/ ٤٦٦ .

(٢) في (خ ف): وأحزم الناس، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٣) مروج الذهب ٨/ ٢٤٧ ، ٢٧٢ ، وصلة الطبري ١٤٢ ، وتكملته ٢٦٩ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٦ ، والمنتظم ١٣/ ٥٩ ، ٣٠٨ ، والكامل ٨/ ٢٤١ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٦ ، ٣٦٨ ، والسير ١٥/ ٤٣ .

واجتهد المقتدرُ بهارون بن غريب أن يحارب مؤنساً [فلم يفعل، وقال: أخاف من عسكري][(١)]. وقيل: إنه خرج وعسكر.

ثم اجتمعوا إلى المقتدر وقالوا: إنَّ الرجال لا يقاتِلون إلا بالمال، وإن أُخرِجَ المال استأمن رجالُ مؤنس، ودفعَتْه الضرورةُ إلى الهرب والاستتار، وسألوه مئتي ألف دينار.

فتقدَّم بجمع الطَّيَّارات والشَّذا[(٢)] لينحدر وأولاده وحُرَمه وأُمُّه مع الحُجَريّة إلى واسط، ويَستنجدَ مَن بالبصرة والأهواز وفارس على مؤنس، فقال محمد بن ياقوت: اتَّق الله يا أمير المؤمنين في المسلمين وفي غِلمانك وخَدَمك، ولا تُسلِّم بغداد بغير حرب، واخرُج إلى العَسْكر ليراك الناسُ ويقاتلون بين يديك، وإذا رآك رجال مؤنس أَحْجَموا عن قتالك. فقال له المقتدر: أنت رسول إبليس.

فلمَّا أصبح ركب ومعه الجماعة، وعليه البُرْدَة وبيده القضيب، وبين يديه الأُمراء والقُوَّاد وأولاده، ومعهم المَصاحفُ المَنشورة، والقُرَّاء يقرؤون القرآن، وخلفه الفضل ابن جعفر الوزير، وشَقَّ بغداد إلى الشمَّاسية والناس يَدعون له بالنَّصر.

وجاء عسكر مؤنس، ووقع الحرب، والمقتدر على تلٍّ، ومؤنس بالرَّاشدية لم يباشر الحرب، وثبت محمد بن ياقوت وهارون بن غريب، فجاء أبو العلاء سعيد بن حَمْدان ومحمد بن ياقوت إلى المقتدر وقالا: تقدَّم، فإذا رآك أصحاب مؤنس استأمنوا، فلم يَبْرَح، وتردَّدَت إليه رسائلُ القُوَّاد بالتقدُّم، وألَحُّوا عليه فتقدَّم، ولم يزالوا يَستدرجونَه[(٣)] حتى أوقعوه في وَسَط الحرب في جماعة يسيرة، وقد قدَّم الغِلْمان والحُجَريّة، وابنُ حمدان[(٤)] وابن ياقوت ومُفلح وغيرهم بين يديه يقاتلون، فانكشف أصحابُ المقتدر، واستُؤسر[(٥)] منهم جماعة.

---

(١) في (خ ف): يحارب مؤنساً ولا يثق بهم وربما يخرج من منزله. والمثبت من الكامل ٨/ ٢٤١ .

(٢) ضرب من السفن الصغار.

(٣) هنا ينتهي السقط المشار إليه في (م١).

(٤) بعدها في (م١): والحجرية بين يديه يقاتلون والذين أشاروا عليه بالتقدم ابن حمدان.

(٥) كذا في النسخ وأصل تكملة الطبري ٢٧٢ ، وفي صلة الطبري ١٥٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٦ : وأُسر منهم جماعة.

وأبلى هارون [بن غريب] ومحمد بن ياقوت بلاءً حسناً، وبقي المقتدر في نَفَرٍ يسيرٍ.

وكان مُعظمُ عسكر مؤنس البَرْبرَ، فبينا المقتدر واقف في المعركة وقد انهزم أصحابُه رآه علي بنُ بليق، فعرفه، فترجَّل وقال: مولاي أمير المؤمنين، وقبَّل الأرضَ وقبَّل رُكْبتَه.

ووافى جماعةٌ من البَرْبر فأحاطوا بالمقتدر، فضرَبه رجلٌ منهم من خلفه ضَرْبةً سقط إلى الأرض، فقال له: ويلَك، أنا الخليفة، فقال البربري: فأنت المطلوب، [وأضجعه] وذبحه بالسيف، وشال رأسَه على خشبة، ثم سلب ثيابَه وسراويلَه، وبقي[1] مَكشوف العَورة، حتى مرَّ به بعضُ الأَكَرَةِ[2] فستَرَ عَورتَه بحَشيش، ثم حفر له في الموضع، ودُفِن وعُفِّي أثَرُه، وأنفذ بليق وابنُه إلى دار السلطان مَن يحفظها.

وجاء مؤنس من الرَّاشِدية، فنزل الشمَّاسية فبات بها، ومضى هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت وابنا رائق ومفلح الأسود إلى المدائن.

ولمَّا أُحضِرَ رأس المقتدر إلى مؤنس تمثَّل يحيى بن عبد الله الطَّبَري كاتب بليق: [من الكامل]

وإذا المَنيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَميْمَةٍ لا تَنْفعُ

[قال ثابت بن سِنان: وكان ما فعلَه مؤنس من قَتْل المقتدر، والضرب في وجهه بالسيف، ودخوله بغداد على ذلك: سَبباً لجُرْأة الأعداء وطمعهم في الخلافة، وانخراق الهيبة، وابتداء ضَعْف الخلافة، وتفاقُم الأمور.

قلت: وقد وهم ثابت بن سنان؛ فإن الذي جرَّأ الموالي على الخلفاء بالقتل إنما هو باغر[3] قاتل المتوكِّل، وهو الذي أطمعهم في قتل المستعين والمعتز والمهتدي والمقتدر.][4]

---

(١) في (ف): وألقي.

(٢) بعض الحُرَّاث.

(٣) في (ف): جرأ الموالي على قتل الخلفاء باغر، وانظر الطبري ٩/ ٢٢٧، ٢٧٨.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م١).

وقال الصولي: لمَّا كان يوم الأربعاء لثلاثٍ بقين من شوال ركب المقتدر وعليه قَباءٌ فضِّي وعمامة سوداء، وعلى كتفَيه البُرْدَة، وبيده القَضيب، وحوله أصحابُه، والمصاحف بأيديهم منشورة، وكان وزيرُه الفضل بن جعفر قد أخذ له طالعَ الوقت، فقال له المقتدر عند رُكوبه: أيُّ وقتٍ هو؟ قال: وقت الزَّوال، فتطيَّر وهمَّ بالرُّجوع، فأشْرَفَت خيلُ مؤنس وبليق في أوائلها، ونَشِبت الحرب، وتفرَّق عن المقتدر أصحابُه، وقتله البَرْبري على ما ذكرنا. وقيل: إنَّ الذي قتله غلامٌ لبليق. [وهذا هو المشهور في قتل المقتدر.

وقد] حكى أبو القاسم السِّمْناني في قَتْله[1] [وجهاً آخر] فقال: كان المقتدر قد حَبَس محمداً القاهر، وكان له نديمٌ يلعب معه بالشِّطْرَنج، فلعب معه يوماً، فتوجَّه الغَلَبُ على القاهر، شاه مات، فرمى بالقطعة من يده وبكى، فقال له النَّديم: مالك؟! فقال: لا أنا حيٌّ ولا ميت، يا ليته قتلني وأراحني أو أطْلَقني، والله ما أخرج عليه أبداً.

ودخلت جاريةٌ من دار القاهر تَفْتَقد أحوالَه[2]، فرأتْه يبكي، فخرجت وهي باكيةٌ، فلَقيها بعضُ الجُند يقال له: البَرْبري، فسألها عن حالها فأخبرته، فقال [لها]: ارجعي إليه وقولي له: غداً ضَحْوة تنقضي الحاجة، فرَجَعت إليه وأخبرَتْه، فعاد إلى اللعب [بالشطرنج] وقال: إن غلبتُ صاحبي زال القطوع، فتوجَّه له الغَلب [على صاحبه].

واتَّفق خروجُ المقتدر من الغد إلى الشمَّاسية، وركب البربري معه، وأظهر على ظَهْر الفَرَس صناعاتٍ من الشجاعة واللَّعب بالسيف والرُّمْح، وعَجِب الناسُ منه، ثم حمل على المقتدر فضربه بحَرْبةٍ أخرجها من ظهره، وصاح الناس عليه، وساق [البربري] نحو دار الخلافة[3]، ليُخرجَ القاهرَ، فصادَفَه حِمْلُ شَوك وهو من فزعِه لا يلتفتُ [يميناً ولا شمالاً]، وهناك قصَّاب، والقِنَّارة[4] معلَّقة يريد أن يعلِّقَ فيها اللَّحْمَ، فزَحَمَه

(١) في (ف): قتلته، وما بين معكوفين منها ومن (م١).

(٢) في (ف م١): أخباره، والمثبت من (خ).

(٣) في (خ): الخليفة، والمثبت من (ف م١).

(٤) خشبة يعلق القصاب عليها اللحم، ويصح أن تطلق على ما يسميه العامة «سيبة»، أخذوها من الفارسية لأنها ثلاث خشبات متصلة الرؤوس منفرجة من طرفها الآخر. معجم متن اللغة.

الشَّوكُ إليها وهو غافل، فضربه الكُلاَّبُ فعلَّقَه، وخرج الفرسُ من تحته فبقي معلَّقاً فمات، فحطَّه الناس وأحرقوه بالحِمْل الشَّوك.

[قلت: وليس هذا بصحيح]، والأصحُّ أنَّ المقتدر قُتِل في المعركة، كما قال ثابت ابن سنان والصولي وغيرهم[١].

وكان سنُّه يوم قُتِل ثمانياً وثلاثين سنةً وشهراً وخمسةَ أيام، وخلافتُه أربعاً وعشرين سنةً وأحد عشرَ شهراً وأربعة عشر يوماً، منها[٢] خمسةُ أيامٍ خُلِع فيها من الخلافة، يومان في نَوْبة ابن المعتز، وثلاثةُ أيام في نوبة القاهر.

وقال جدِّي في «التلقيح»: وكانت[٣] خلافتُه أربعاً وعشرين سنة [وأربعة عشر يوماً، وقيل:] وشهرين، وقيل: خمساً وعشرين سنةً إلا أياماً[٤].

وقال الصولي: عاش المقتدر في الخلافة أكثرَ مما عاش الخلفاء فيها قبله، فإنَّ المعَمَّرين من الخلفاء: معاوية[٥]، وعبد الملك، وهشام، والمنصور، والرشيد، والمأمون، والمعتمد، وزاد هو عليهم، ثم كلُّهم ماتوا على فُرُشهم وخُتِم له بالشهادة.

ومن العجائب أنَّه لم يلِ الخلافةَ[٦] مَن اسمه جعفر ويكنى أبا الفضل إلا هو والمتوكل، وكلاهما قُتِل يوم الأربعاء. ولا يُعرَفُ خليفةٌ قُتل في رمضان غيرُه.

وقال الخطيب: رثاه الراضي قبل أن يَلِيَ الخلافة فقال: [من الطويل]

بنَفسي ثَرًى ضاجَعْتَ في ساحة البِلى ... لقد ضمَّ منكَ الطِّيبَ والغَيثَ والبَدْرا
ولو أنَّ عُمْري كان طَوعَ مَشيئتي ... وأَسْعَدَني المِقدارُ شاطَرْتُه العُمْرا
ولو أنَّ حيًّا كان قبراً لميِّتٍ ... لصَيَّرتُ أحشائي لأَعْظُمه قَبْرا[٧]

---

(١) في (خ): كما ذكرنا، والمثبت من (ف م١)، وما بين معكوفين منهما.

(٢) في (ف م١): من جملتها.

(٣) في (خ): وقيل كانت، والمثبت من (ف م١).

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ٩٢، وما بين معكوفين منه.

(٥) في (خ): أكثر ما عاش المعمرين فيها قبله، وهم معاوية، والمثبت من (ف م١)، وانظر المنتظم ١٣/ ٣٠٩.

(٦) في (خ): وختم له بالشهادة ولم يل الخلافة، والمثبت من (ف م١).

(٧) لم أقف عليها في تاريخ بغداد، وهي في تكملة الطبري ٣٢٣، والكامل ٧/ ٣٦٦، ونسبها المرزباني في معجم الشعراء ٤٢٥، وعنه ياقوت في معجم الأدباء ١٧/ ١٣٥ إلى ابن دريد يرثي عبد الله بن عمارة.

ذكر طرف من أخباره:

[قال الصولي:] كان النساء قد غَلَبْنَ على المقتدر؛ حتى كانت ثَمَلُ القَهْرَمانة تجلس للمظالم ويحضرها القضاة.

وكان جواداً، سخيًّا، يَصرفُ في كلِّ سنةٍ في طريق مكة والحَرَمَين ثلاثَ مئة ألف دينار ونيِّفًا وخمسة عشر ألف دينار، ويُجري على مَن يتولَّى الحِسْبَةَ والمَظالمَ في جميع البلاد أربعةً وثلاثين ألفَ دينار وزيادة، وعلى أصحاب البريد تسعةً وسبعين ألفاً، وكان في داره أحد عشر ألف خادم خِصيان غير الصَّقالبة والروم والسودان [وقد ذكرنا ما كان في داره لما بَعَث ملكُ الروم إليه الرسول في سنة خمسٍ وثلاث مئة.]

وكانت جواهرُ الأكاسِرةِ وغيرِهم من الملوك قد صارت إلى بني أمية، ثم إلى السَّفَّاح، ثم إلى المنصور، ثم إلى المهدي، وفيها الجبل الياقوت الذي اشتراه المهدي بثلاث مئة ألف دينار[1]، واشترى الرشيد جوهراً بألف ألف دينار، ولم يزل الخلفاءُ يحفظون ذلك إلى أن آلت الخلافة إلى المقتدر، فأخرج الجميعَ على النساء وغيرهنَّ، وأعطى بعضَ حَظاياه الدُّرَّة اليتيمة، وزنُها ثلاثة مَثاقيل، ووهب بعضَه للخدم: صافي الحرمي وغيره، ووَجَّه منه إلى وزيره العباس بن الحسن، فردَّه وقال: هذا الجوهر عِدَّةُ الخلافة ولا ينبغي أن يُفرَّق.

وكانت زَيدان القَهْرمانة متمكِّنةً من الجوهر، فأخذت سُبْحَةً لم يُرَ مثلُها، فكان يُضرَب بها المثل فيقال: سُبحةُ زيدان، فلمَّا ورد علي بنُ عيسى على المقتدر قال له: ما فعلت سبحة جوهر قيمتُها ثلاثُ مئة ألف دينار أُخذَت[2] من ابن الجَصَّاص؟ فقال: في الخزانة، فقال: تُطْلَب، فطُلِبَت فلم تُوجَد، فأخرجها علي من كُمِّه وقال: إذا كانت خزانة الجوهر لا تُحفَظ فما الذي يُحفَظ؟ فقال المقتدر: فمن أين لك هذه؟ قال: عُرِضَت عليَّ فاشتريتُها. فاشتدَّ ذلك على المقتدر.

[ولما قتل المقتدر] كان قد بقي منه في الخزانة شيءٌ يسير، فامتدَّت إليه أيدي الخَزَنة في أيام القاهر والراضي، فلم يبق منه شيءٌ.

---

(١) في ثمار القلوب ١٩٤، والمنتظم ١٣/ ٦٤: واشترى المهدي الفص المعروف بالجبل بثلاث مئة ألف دينار.

(٢) في (ف م١): ما فعلت بسبحة زيدان قيمتها ثلاث مئة ألف دينار التي أخذت، والمثبت من (خ).

وقال صافي الحُرَمي: مشيتُ يوماً بين يدي المعتضد وهو يُريد دورَ الحُرَم، فلمَّا بلغ باب شَغَب أُمِّ المقتدر وقف يَتَسَمَّع ويَطَّلع من خَلَلٍ في السّتر، وإذا بالمقتدر ـ وله إذ ذاك خمسُ سنين أو نحوها ـ وهو جالس وحواليه مِقدارُ عَشْر وصائف من أقرانه في السنِّ، وبين يديه طَبَقٌ فيه عُنقودُ عِنَبٍ في وقت لا يوجد فيه العِنَب، وهو يأكل عِنَبةً واحدة، ثم يُطعم الوصائف عِنَبةً عنبةً على الدَّور، حتى إذا بلغ الدَّور إليه أكل عنبةً واحدةً مثل ما أكلوا، حتى فَنِيَ العنقود، والمعتضد يَتميَّز غَيْظاً، فرجع ولم يدخل الدار.

ورأيتُه مَهموماً فقلت: يا مولاي ما سببُ ما فعلتَه وقد بان عليك؟ فقال: يا صافي، والله لولا النار والعار لقتلتُ هذا الصبيَّ، فإنَّ في قَتْله صلاحَ هذه الأمة، فقلتُ: يا مولاي، إيش عمل، أُعيذُك بالله يا مولاي، العَن إبليس، فقال ويحك، أنا أبصرُ بما أقول، أنا رجلٌ قد سِسْتُ الأمورَ، وأصلحتُ الدنيا بعد فسادٍ شديدٍ، ولا بدَّ من موتي، وأعلمُ أنَّ الناس بعدي لا يختارون غيرَ ولدي، وسيُجلسون ابني عليًّا ـ يعني المكتفي ـ وما أظنُّ عمرَه يطول للعلَّة التي به ـ يعني الخنازير[1] التي كانت في حَلْقِه ـ فيَتْلَفُ عن قُرْبٍ، ولا يرى الناس إخراجَها عن ولدي، ولا يَجدون بعده أكبرَ من جعفر ـ يعني المقتدر ـ فيُجلسونه وهو صبيٌّ، وله من الطَّبْع في السَّخاء ما قد رأيتَ من أنَّه يُطعم الوَصائف مثل ما أكل، وساوى بينه وبينهنَّ في شيءٍ عَزيزٍ، والشحُّ على مثله في طبائع الصبيان، فيحتوي عليه النساء لقرب عَهْده منهنَّ، فيَقْسِم ما جمعتُه من الأموال كما يقسم العنب، ويُبَذِّر ارتفاع الدنيا ويُخرِّبُها[2]، ويُضَيِّع الثُّغور، وتنتشر الأمور، وتخرجُ الخوارج، وتحدثُ الأسباب التي يكون فيها زوالُ المُلْك عن بني العباس أصلاً، فقلتُ: بل يُبقيك الله حتى يَنشأ في حياتك، ويَصيرَ كَهْلاً في أيامك، ويَتأدَّبَ بآدابك، ويَتخلَّقَ بأخلاقك، ولا يكون هذا الذي ظَننتَ، فقال: احفظ ما أقول لك وسوف ترى.

وضرب الدهرُ ضَرَباته، ومات المعتضد، وولي المكتفي، فلم يَطُل عمرُه ومات، وولي المقتدرُ فكانت الصورةُ كما قال بعَيْنها، فكنتُ كلَّما وقفتُ على رأس المقتدر،

(١) قروح تحدث في الرقبة. القاموس.

(٢) وكذا في تاريخ بغداد ٨/ ١٣٠ ، والمنتظم ١٣/ ٦٦ .

ورأيتُه يدعو بالأموال والجواهر، ويُفرِّقُها في الجواري، ويُمَزِّقها ويَمْحَقُها: ذكرتُ قولَ المعتضد فأبكي.

وقال صافي: كنتُ واقفاً على رأس المعتضد فقال للخادم الذي على خزانة الطِيب: كم عندك من الغالية؟ فقال: نيِّفٌ وستون حُبًّا صينيًّا ممَّا عمله عِدَّةٌ من الخلفاء[1]. فقال: أيُّها أطيب؟ قال: ما عمله الواثق. قال: أحضِرْنيه، فأحضَر حُبًّا يَحمله عِدَّةٌ من الخَدَم بدَهَق[2]، ففتحه وإذا بغاليةٍ قد ابيضَّت من التَّعْشِيب، فأعجب المعتضد، فأخذ من حول رأس الحُبِّ يَسيراً، فلطَّخ به لحيتَه من غير أنْ يُشَعِّثَ رأسَ الحُبّ، ثم رفعه.

ومات المعتضد وولي المكتفي، فسأل الخادمَ عن الطِّيب، فأخبره بمثل ما أخبر به المعتضد، فأمر بإحضار الحُبِّ، فأخذ منه شيئاً يسيراً، وخَتَمَه ورُفِع.

ومات المكتفي وولي المقتدر، فاستدعى الخادم، وسأله عن الطِّيب، فأخبره كما أخبر أباه وأخاه، فقال: هاتوا الحِبابَ كلَّها، فأُحضِرَت، ففرَّقها في الجَواري، ورأى ذاك ناقصاً، فسأل الخادمَ فأخبره، فأخذ يُبَخِّل الرَّجُلَين، وجعل يُفرِّقُه على الجواري، حتى بقي فيه شيءٌ يسير، وأنا أتمزَّقُ غيظاً، وأذكر كلام المعتضد، فبكيتُ وقلتُ: هذه غاليةٌ لا يوجد مثلُها، فلو فرَّقتَ من غيرها وأبقيتَها لك فاستحيى منِّي، وما مضت إلا سنينٌ من خلافته حتى فَنِيَت تلك الغَوالي، واحتاج إلى عَجْن غاليةٍ بمالٍ عظيم.

وحكى القاضي التَّنوخي: أنَّ امرأةً يقال لها: نظم كانت تَخْدُم السيدةَ أمَّ المقتدر، وكانت دايةَ أبي القاسم يوسف بن يحيى، فرفعَتْه حتى أَثْرى وصار له مالٌ عظيم، فعزم على تطهير ابنه، وعرفت السيدةُ فأرسلت إليه من الحيوانات والفواكه شيئاً عظيماً، ومن الثياب والآنية والمال شيئاً كثيراً، فقال لنظم: قد بقي يُعْوِزُنا شيءٌ واحد؛ وهو القريةُ التي للخليفة ـ وكانت له قريةٌ من فضة، فيها البيوتُ والشَّجرُ والبقر والغنم والجِمال والجَواميس والفلاحون والزرع وكل ما يكون في القرى ـ فقالت له: متى سمعتَ بخليفة يُعيرُ شيئاً؟ وهل يجوز أن يكونَ في دار الخليفة شيءٌ فيُخْرَج إلى الناس؟

---

(١) في تاريخ بغداد ٨/ ١٣١ : نيف وثلاثون حباً .... والمثبت موافق للمنتظم ١٣/ ٦٧ . والحب: الخابية، أو الجرَّة الكبيرة.

(٢) هما خشبتان.

ولكن أُعرِّفُ السيدة، ثم دخلَت عليها وأظهرت الانكسار، فقالت: ما لكِ؟ فقالت: عبدُكِ يوسف يريد أن يُطَهِّر غداً ابنَه، وهيَّأ أسبابَه وقال: كنتُ أحبُّ أن أتشَرَّف بما لم يحصل لغيري؛ ليُعلَمَ مكاني من الخليفة، قالت: وما هو؟ قالت: عاريةُ القرية ليتجمَّلَ بها ويَرُدَّها من الغد، فقالت: هذا شيءٌ عَملَه الخليفةُ لنفسه، كيف يَحسُنُ أن يُرى في دار غيره؟ وكيف يحسُن أن يقال: إن الخليفة استعار منه بعضُ خَدَمه شيئاً ثم استردَّه؟ هذا فضيحةٌ.

ثم قامت فدخلت عليه، فقام قائماً، وعانقها، وقبَّل رأسَها، وأجلسها معه في دَسْته ـ وهذه كانت عادتُه معها ـ وقال لها: يا ستِّي ـ وهكذا كان يُخاطبها ـ ليس هذا من أوقات تفضُّلِك وزيارتك، فحدَّثَتْه ساعةً، ثم التفتَتْ إلى نظم وقالت: متى عَزَم يوسف على تطهير ابنه؟ فقالت: غداً، فقال الخليفة: إن كان يحتاجُ إلى شيء آخر أمرتُ له به، فقالت: قد اكتفى، ولكن يسأل القرية عاريةً ليتجمَّلَ بها ثم يَردُّها. فقال: يا ستِّي هذه ظَريفة، يستعيرُ خادمٌ لنا منَّا شيئاً وتكونين أنت شفيعُه، فنُعيرُه، ثمَّ نرجع نأخذُه منه؟! هذا من عمل العوام لا الخلفاء، إذا كان محلُّه ما أوجب تَجَشُّمَك وزيارتك في غير أوقات الزِّيارة فقد وَهَبتُ له القرية.

فخرجت نظم فأخبرته فقال: أمَّا الطَّعام فعندي شيءٌ كثير[1]، وأخذ القرية، وبلغ المقتدر فقال: يُحمَل إليه قيمةُ الطعام، فكانت قيمتُه ألفاً وخمس مئة دينار، فحُمِلت إليه.

وقال الصُّولي[2]: كان المقتدرُ يُفرِّق يوم عرفة ثلاثين ألف رأسٍ من البقر، ومن الإبل عشرة آلاف، ومن الغنَم خمسين ألفاً، ويقال: إنَّه أَتْلَف من المال ثلاثين ألف ألف دينار.

---

(١) في المنتظم ١٣/ ٧٢ : وهبت له القرية، فمري بحملها بجميع آلاتها إليه، وقد رأيت أن أشرفه بشيء آخر، قالت: ما هو؟ قال: يحمل إليه غداً جميع وظائفنا ولا يطبخ لنا شيء البتة، بل يوفر عليه، ويؤخذ لنا سمك طري فقط.

(٢) من قوله: وقال صافي الحرمي: مشيت يوماً ... إلى هنا ليس في (ف م١).

وكان في داره عشرةُ آلاف خادم من الصَّقالِبَة، وفي إصطَبْل الخاصة عشرةُ آلاف فرس، وخمسةُ آلاف بَغْلة، وعشرون ألف بُخْتيّ، ومن الأموال والأثاث والمتاع ما لا يُحصى، فأتلَف الجميع، وأتلَف نفسه بيده وبسوء تدبيره، [ومُعاداة مؤنس، وسماع كلام الأعداء، حتى زالت أيامُه، وجرى عليه ما جرى.

ويقال: إنَّه أتلف من المال ثمانين ألف دينار.][(١)]

ذكر أولاده:

محمد الراضي، وإبراهيم المتَّقي، وإسحاق والد القادر، والمُطيع، وعبد الواحد، وعباس، وهارون، وعلي، وعيسى، وإسماعيل، وموسى، وأبو العباس.

ولمَّا انهزم هارون بن غريب وابن ياقوت وابنا رائق ومُفلح إلى المدائن كان معهم عبد الواحد، ومضَوا إلى واسط، وأقاموا يَجْبُون الأموال.

ذكر حُجَّابه:

سوسن مولى المكتفي، ونَصْر وابنُه أحمد، وياقوت وابنه محمد، وإبراهيم ومحمد ابنا رائق[(٢)]، وطبيبه ثابت بن سِنان، وابن بُخْتَيْشوع، وقاضيه أبو عمر.

ذكر وزرائه:

كان مغرًى بتغيير الوزراء، استوزر العباس بن الحسن أربعة أشهر وأياماً وقُتل، ثم استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات، ثم قبض عليه في المُحَرَّم، واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في ذي الحِجَّة، وقبض عليه في المُحرَّم سنة إحدى وثلاث مئة، ثم استوزر علي بن عيسى بن داود بن الجَرّاح، ثم قبض عليه، ثم ولاَّه النَّظَر في الدواوين والوزارة مراراً، ثم أُعيد علي بن الفرات، ثم عزله، واستوزر حامد بن العباس، ثم عزله ومات، ثم استوزر علي بن الفرات مِراراً، ثم قتله وولدَه

(١) ما بين معكوفين من (ف م١) وجاء بعده فيهما: انتهت سيرة المقتدر والحمد لله وحده. السنة الحادية والعشرون وثلاث مئة.

(٢) في (خ): وياقوت وابنه أبو محمد وأحمد ابنا رائق، وهو خطأ، والمثبت هو الصحيح، انظر المنتظم ١٣/ ٦٢، والعقد الفريد ٥/ ١٢٨.

المُحَسِّن، ثم استوزر عبد الله بن محمد بن عُبيد الله بن خاقان، ثم استوزر أبا العباس الخَصيبي[١]، ثم الفضل بن جعفر بن الفرات.

وقال ثابت: بلغ من تبذير المقتدر أنَّه أتلف نيِّفاً وسبعين ألف [ألف] دينار[٢]، أكثر ممَّا جمعه الرشيد، وأوقفني بعضُ كتَّاب أبي الحسن بن الفرات أنَّه كان في بيت مال الخاصَّة لمَّا ولي المقتدرُ أربعة عشر ألف [ألف] دينار، ثم ذكر ارتفاع الوزراء وما جمعه كلُّ وزير فكان مالاً عظيماً[٣].

الحسين بن صالح

أبو علي بن خَيْران، الفقيه، الشافعي[٤].

كان من أفاضل الشيوخ، وأماثل الفُقهاء، مع حُسْن المَذْهب، وقوَّة الوَرَع.

وأُريدَ على القضاء فلم يفعل، فوَكَّل علي بن عيسى الوزير ببابه وختم عليه، فبقي بِضعةَ عشر يوماً، فكُلِّم فيه فأعفاه، وقيل: بقي حتى احتاج إلى الماء، فلم يَقْدر عليه إلا من عند الجيران، وبلغ الوزيرَ فأزال التَّوكيلَ عنه، وقال في مجلسه والناسُ حضور: ما أردْنا بالشيخ أبي علي إلا خيراً، أردنا أن نُعلِمَ الناسَ أنَّ في مملكتنا رجلاً يُعرَض عليه قضاءُ القضاة شرقاً وغرباً وهو لا يقبل.

وتوفي في ذي الحجة، وكان فاضلاً وَرِعاً زاهداً عابداً.

عبد الملك بن محمد بن عَدِيّ

أبو نُعَيم، الجُرْجاني، الأَسْتَراباذيّ[٥].

---

(١) ثم أبا علي محمد بن علي بن مقلة، ثم أبا القاسم الكلواذي، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله، ثم الفضل. انظر العقد الفريد ٥/ ١٢٨ ، المنتظم ١٣/ ٦١-٦٢ .

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٨ ، والسير ١٥/ ٥٦ ، والكامل ٨/ ٢٤٣ .

(٣) انظر المنتظم ١٣/ ٦٠ .

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٥٩٣ ، والمنتظم ١٣/ ٣١٠ ، والسير ١٥/ ٥٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٨ .

(٥) تاريخ جرجان ٢٧٦ ، تاريخ بغداد ١٢/ ١٨٢ ، تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٢٦ ، معجم البلدان ١/ ١٧٥ ، المنتظم ١٣/ ٣١١ ، تاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٦ ، السير ١٤/ ٥٤١ .

أحد أئمة المسلمين، من أهل الفقه والوَرَع، والضَّبط والإتقان، سمع علي بن حَرْب وغيره، وروى عنه الدَّارقطني وغيره.

قلت: قد كرَّر المصنِّف رحمه الله ذكر عبد الملك الجُرْجاني في سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة، وأثنى عليه بنحو مما ذكره هنا[١]، وزاد فقال: وُلد سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

وقال الخطيب: كان أحدَ أئمة المسلمين، ومن الحُفَّاظ لشرائع الدين، مع صدقٍ ووَرَعٍ، وضَبْطٍ وإتقان، سافر الكثير، وكتب بالعراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد قديماً وحدَّث بها، وكانت وفاتُه بأستراباذ في ذي الحجة ـ يعني سنة ثلاث وعشرين ـ وهو ابنُ ثلاثٍ وثمانين سنة.

وقال الحاكم في «تاريخه»: وَرَد نَيْسابور سنة ست عشرة وثلاث مئة وهو متوجِّهٌ إلى بُخارى، ثم انصرف عن بخارى، وعاد إلى نيسابور فأقام بها حتى توفّي.

وقال ابن عساكر: مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وقال الخطيب: مات في حدود العشرين وثلاث مئة.

وأجمعوا على فضله وفقهه وصِدْقه وزُهْده ووَرَعه.

عبد الوهَّاب بن عبد الرزَّاق

ابن عمر بن مسلم، أبو محمد. القرشي مولاهم.

دمشقي، وُلد ولأبيه خمسٌ وتسعون سنة، حملَته أمُّه على صَدْرها[٢] وهو زَمِنٌ، فواقعها، فحملَت بعبد الوهاب، وجاوز عبد الوهاب مئةَ سنة، حدَّث عن هشام بن عمار وطبقته، وروى عنه أبو الحُسين الرَّازي، وكان ثقةً.

محمد بن إبراهيم

ابن حَفْص بن شاهين، أبو الحسن، البغدادي[٣].

---

(١) هذا الكلام يصدق على مرآة الزمان الذي لم يصلنا، أما هذا المختصر فلم تكرر فيه الترجمة.

(٢) في تاريخ دمشق٤٤/ ٩٩ : حملته امرأته على صدرها.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٣٠٤ ، والمنتظم ١٣/ ٣١٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٣ .

سمع الكثير، وحدَّث عن يوسف بن موسى القَطَّان وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقةً.

خرج من الحمَّام يوم الإثنين لخمسٍ خلون من رمضان وهو في عافية، فمات فجأة.

محمد بن يوسف

ابن يعقوب بن إسماعيل بن حَمَّاد بن زيد بن دِرْهم، أبو عمر، القاضي، الأَزْدي، مولى [آل] جرير بن حازم[1].

ولد بالبصرة لتسعٍ خلون من رجب سنة ثلاثٍ وأربعين ومئتين، وسمع الشيوخ، ولقي العلماء، وولي قضاءَ مدينة المنصور سنة أربعٍ وثمانين ومئتين، ولم يكن له نَظيرٌ في الحُكَّام عقلاً، وحِلماً، وذكاءً، وتمكُّناً، واستيفاءً للمعاني الكثيرة بالألفاظ اليَسيرة، مع المعرفة بأقدار الناس، والتأنِّي في الأحكام، وكان يُضرَب المَثَلُ بعقله وسَداده وحِلْمه.

ووصفه الخطيب بأوصافٍ جَليلة من الجود، والفَضْل، والحياء، والكَرَم، والإحسان إلى القاصي والدَّاني، قال: ثمَّ استُخْلف لأبيه يوسف على القضاء بالجانب الشَرْقي من بغداد، فكان يَحكُم بين أهل مدينة المنصور رياسةً، وبين أهل الجانب الشرقي من بغداد نيابةً إلى سنة اثنتين وتسعين.

ولمَّا توفي أبو حازم القاضي عن الشَّرْقية نُقِلَ أبو عمر إليها، فكان على ذلك إلى سنة ستٍّ وتسعين، فصُرف هو ووالده عن جميع ما كان إليهما، وتوفي والدُه سنة سبع وتسعين.

وما زال أبو عمر مُلازماً لمنزله إلى سنة إحدى وثلاث مئة، فأشار علي بن عيسى الوزير على المقتدر به، فقلَّده الجانبَ الشَّرقي من بغداد، وعِدَّة نَواحٍ من السَّواد، والشام، والحَرَمَين، واليمن وغير ذلك، ثم قلَّده قضاءَ القُضاة سنة سبع عشرة وثلاث مئة.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٦٣٥ ، والمنتظم ١٣/ ٣١٣ ، وما بين معكوفين منهما، والسير ١٤/ ٥٥٥ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٦ .

وحمل عنه الناس علماً كثيراً من الحديث والفقه، وصنَّف مُسنداً كبيراً، ولم ير الناسُ ببغداد أحسنَ من مَجلسه؛ كان يجلس للحديث وعن يمينه أبو القاسم بن مَنيع، وهو قريبٌ من أبيه في السنِّ والسَّنَد، وعن يساره ابنُ صاعد، وأبو بكر النَّيْسابوري بين يديه، وسائر الحُفَّاظ حول سريره، وما عَثَروا عليه بخطأ قطُّ، لا في روايته للحديث، ولا في أحكامه.

وتقدَّم إليه ابنُ النَّديم وابنُ المُنَجِّم في شيءٍ كان بينهما، فقال ابن المنجم: إنَّ هذا يَدِلُّ بخاصَّةٍ له عند القاضي، فقال: ما أُنكِرُها، وإنَّها لنافِعَةٌ له عندي، غير ضارَّةٍ لك، إن كان الحقُّ له كفيناه مؤونة اجتدائه[1]، وإن كان لك سلَّمناه إليك من غير استذلال له.

وحضر عنده يوماً ثوبٌ يَمانيّ قيمتُه خمسون ديناراً، وعنده جماعةٌ من أصحابه وشهودِه الذين يأنَسُ بهم، فاستحسنوه، فقال: عليَّ بالقَلانِسيّ، ففَصَّله قَلانِس على عددهم وقال: لو استَحْسَنَه واحدٌ منكم لوَهَبْتُه له، فلمَّا اشتركتم في استحسانه وَجَب قِسمتُه بينكم، وهو لا يقوم بمَلابسكم، فجعلتُه قَلانِس لكم.

قال الخطيب: توفي ببغداد في رمضان، ودُفن بداره وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنةً.

ورؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدركَتْني دعوةُ العبد الصالح إبراهيم الحَرْبي، وكانا قد اجتمعا في مكان، فقال القاضي لغلامه: ارفع نَعْلَي إبراهيم في مِنديلك، ففعل، فلمَّا قام الحَرْبي قال القاضي لغلامه: قَدِّم نَعْلَيه، فأخرجهما من المِنديل، فقال إبراهيم للقاضي: رفع الله قَدْرَك في الدنيا والآخرة.

أسند عن محمد بن الوليد، ومحمد بن إسحاق الصَّاغاني، وعثمان بن هشام بن دَلْهم وغيرهم، وروى عنه الدارقطني، ويوسف بن عُمر، وأبو القاسم بن حَبابَة وآخرون.

أبو عَمرو الدِّمشقيّ

أحدُ مشايخ الصُّوفية[2].

---

(١) في تاريخ بغداد ٤/ ٦٣٨ : مؤنة اجتذابه.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦ ، طبقات الصوفية ٢٧٧ ، مناقب الأبرار ١/ ٥٠٦ ، تاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٩ .

صحب ابن الجَلاَّء، وأصحابَ ذي النُّون، وكان من كبار مشايخ القوم وعلمائهم، وله المَقامات المشهورة.

سئل: أيُّ الخلقِ أعْجَزُ؟ فقال: مَن عَجَز عن سياسة نفسه، قيل: فأيُّهم أقوى؟ قال: مَن قَوِي على مُخالفة هواه، قيل: فأيُّ الناس أعقل؟ قال: مَن ترك المُكوَّنات وأقبل على مُكوِّنها.

وقال له رجل: إنِّي أُريدُ السَّفَر؟ فقال: لا تَصْحَب سوى الله تعالى؛ فإنَّه يَكفيك المُهِمَّات، ويَشكُرُك على الحَسَنات، ويَستُر عليك السَّيئات، ولا يُفارقُكَ خُطْوةً من الخُطُوات.

وقال: كما افترض الله تعالى على [الأنبياء إظهارَ المعجزات ليؤمنوا بها، كذلك فرض على] الأولياء إخفاءَ الكرامات لئلَّا يَفتَتِنُوا بها.

وقيل: إنَّه توفي في سنة أربعٍ وعشرين وثلاث مئة[1].

(١) ذكر ذلك ابن زبر في تاريخ مولد العلماء ٢٧٢ .